نظرية صراع الطبقات

الجزء الثاني

في بعض القضايا الأساسية للفكر الماركسي - اللينيني

إعداد علي محمود

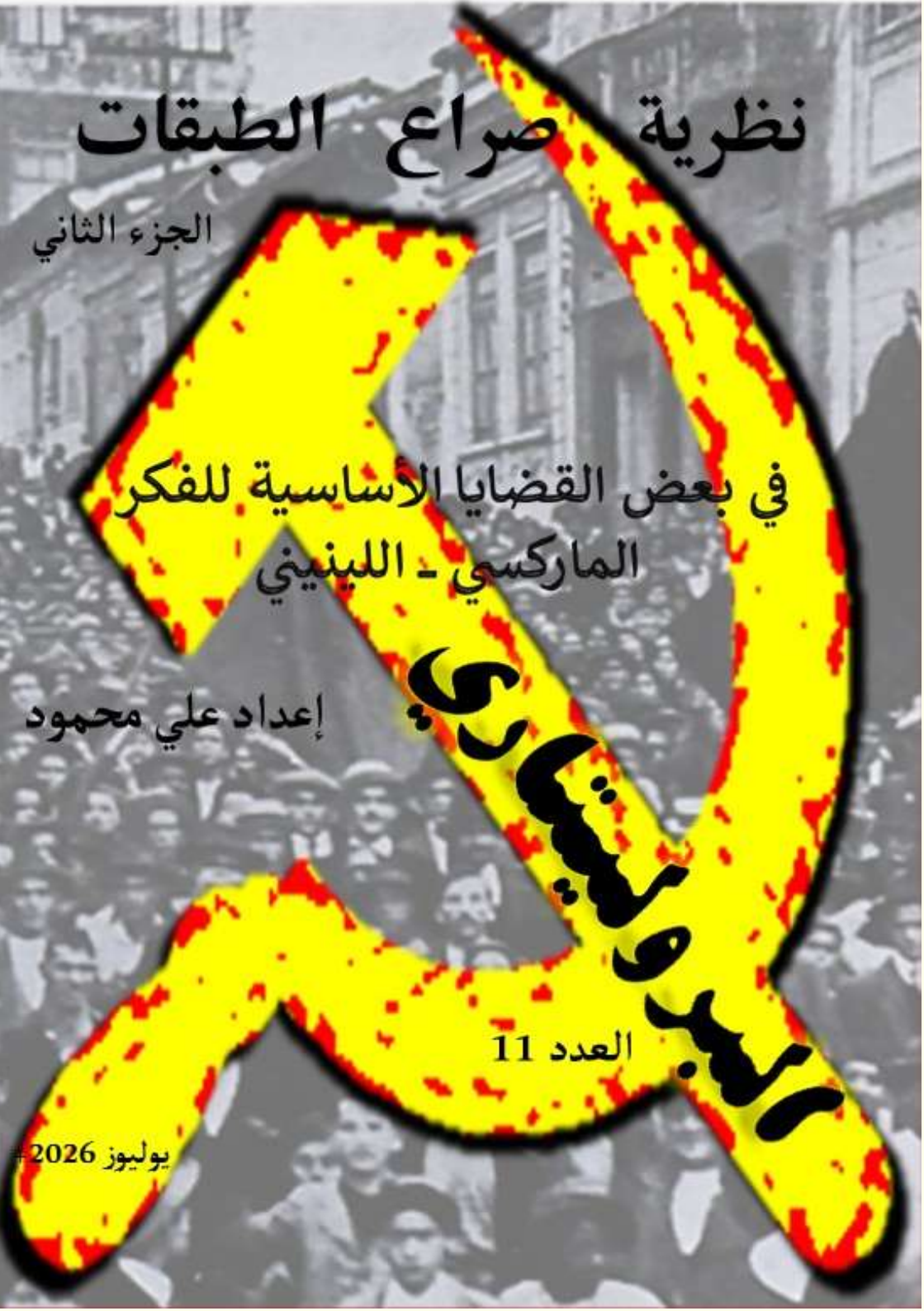

العدد 11

يوليوز 2026

نظرية صراع الطبقات

الجزء الثاني

في بعض القضايا الأساسية للفكر الماركسي اللينيني

"إن الماركسية هي علم ذو عمق وتنوع أقصى. وليس غريبا أن نجد أجزاء من المقتطفات لكارل ماركس، خاصة تلك المقتطفات غير المصاغة بشكل جيد من بين "الحجج" لدى أولئك اللذين يقطعون مع الماركسية"

لينين، المجلد 26، ص 216، النسخة الفرنسية

في دفاعه عن الماركسية الثورية كان لينين يستوعب جيدا مضمون نظرية صراع الطبقات الماركسية، مستحضرا أقوال ماركس و انجلز في "البيان الشيوعي" الذي شكل أول برنامج ثوري للطبقة العاملة.

لقد تحدثنا عن تلك الرسالة التاريخية (رسالة ماركس إلى ويدماير) التي قام بإخفائها التحريفيون الألمان خلال سنوات طويلة عن أعين قواعد الحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني، ومن خلاله أغلب الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية في العالم، وذلك في محاولة لنفي وجود مصطلح دكتاتورية البروليتاريا في الفكر الماركسي، وقد دافع لينين في كتابه الشهير **"الدولة والثورة"** عن مفهوم دكتاتورية البروليتاريا في الفكر الماركسي، مستعملا العديد من المقتطفات الدالة على ذلك، وبذلك أعاد الروح الثورية إلى الفكر الماركسي.

واليوم كل الماركسيين – اللينينيين الحقيقيين يعتبرون ويسترشدون بمفهوم ونظرية صراع الطبقات، باعتبارها حجر الزاوية في الفكر الماركسي ذات موقع مركزي، يشير إلى وجود توتر دائم ونزاع قائم بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وفي المجتمع الرأسمالي خاصة، بين البورجوازية (الطبقة السائدة) البروليتاريا (الطبقة المسودة) في ظل النظام الرأسمالي.

إن المادية التاريخية (انظر موضوعات حول المادية التاريخية، منشورات موقع "الشرارة") تعتبر أن صراع الطبقات هو محرك التاريخ يساهم في التغيير الاجتماعي، الذي يؤدي حتما إلى مجتمع بدون طبقات.

I- مزيد من التوضيح لبعض المرتكزات والمفاهيم الأولية

سيرا على نهج "**كراسات البروليتاري**"، التي تصدر في الموقع الإلكتروني "الشرارة"، وتوخيا للتبسيط والفهم، سنعمل هنا على توضيح بعض المفاهيم النظرية الضرورية لاستيعاب نظرية الصراع الطبقي.

ا- المادية التاريخية:

يقول لينين في سياق تعريفه ب "**مصادر الماركسية الثلاث**، بأن:

"عبقرية ماركس كلها تقوم بالضبط في كونه أجاب عن الأسئلة التي طرحها الفكر الإنساني التقدمي، وقد ولد مذهبه بوصفه تتمة مباشرة فورية لمذاهب أعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد الاشتراكي والفلسفة، إن مذهب ماركس لكلي الجبروت، لأنه صحيح، وهو متناسق ومتكامل، ويعطي للناس مفهوما منسجما عن العالم لا يتفق مع أي ضرب من الأوهام، و مع أية رجعية، و مع أي دفاع عن الطغيان البورجوازي، وهو الوريث الشرعي لخير ما ابدعته الإنسانية في القرن 19: الفلسفة الألمانية والاقتصاد السياسي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية"

وفي مكان آخر، من نفس المقالة، يتحدث لينين عن مادية ماركس، قائلا:

"إن المادية هي فلسفة الماركسية، ففي غضون كل تاريخ أوروبا الحديث، و لاسيما في أواخر القرن 18 في فرنسا، حيث كان يجري نضال حاسم ضد كل نفايات القرون الوسطى، ضد الإقطاعية في المؤسسات و في الأفكار، كانت المادية الفلسفة الوحيدة المنسجمة إلى النهاية و الأمينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية، و المعادية للأوهام و لتصنع التقوى ... و لذا بذل أعداء الديموقراطية كل قواهم ل "دحض" المادية (و هو ما نراه اليوم تحت أعيننا) لتقويضها، للافتراء عليها، و دافعوا عن شتى أشكال المثالية الفلسفية، التي تؤول أبدا، على نحو أو آخر، للدفاع عن الدين و إلى نصرته" .

ولتمييز مادية ماركس يقول لينين:

"لقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطورها، فانتهى بها إلى نهايتها المنطقية، و وسع نطاقها من معرفة الطبيعة إلى معرفة المجتمع البشري. إن مادية ماركس التاريخية كانت أكبر انتصار أحرزه الفكر العلمي، فعلى إثر البلبلة والاعتباط اللذين كانا سائدين حتى ذلك

الحين في مفاهيم السياسة والتاريخ، جاءت نظرية علمية روعة في التناسق والتجانس والانسجام، تبين كيف ينبثق ويتطور، من نمط معين من الحياة الاجتماعية، ومن جراء نمو القوى المنتجة، نمط آخر أرقى، كيف تولد الرأسمالية من الإقطاعية مثلا. وكما أن معرفة الإنسان تعكس الطبيعة القائمة في صورة مستقلة عنه، أي المادة في طريق التطور، كذلك تعكس معرفة الإنسان الاجتماعية (أي مختلف الآراء والمذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ...) نظام المجتمع الاقتصادي. إن المؤسسات السياسية تقوم كبناء فوقي على أساس اقتصادي، فإننا نرى، مثلا كيف أن مختلف الأشكال السياسية للدول الأوروبية العصرية هي أدوات لتعزيز سيطرة البورجوازية على البروليتاريا.

إن فلسفة ماركس هي مادية فلسفية كاملة، أعطت الإنسانية، والطبقة العاملة خاصة أدوات جبارة للمعرفة".

وكخلاصة من خلاصات المادية التاريخية حول الصراع الطبقي وأهميته في تطور المجتمعات، تلك الخلاصة التي استخلصها ماركس من نتائج الثورات التي هزت أوروبا، يقول لينين في نفس المقالة :

"غير أن الثورات العاصفة التي رافقت سقوط الإقطاعية، القنانة في كل مكان من أوروبا وخاصة في فرنسا، بينت بوضوح متزايد على الدوام، أن الصراع الطبقي هو أساس كل التطور و قوته المحركة".

" و من عبقرية ماركس أنه كان أول من استخلص هذا الاستنتاج الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي و طبقه بصورة منسجمة إلى النهاية. و هذا الاستنتاج هو مذهب الصراع الطبقي".

و سيقوم لينين بتعميم أطروحة ماركس حول الصراع الطبقي و مرتكزاته الاقتصادية المادية، ويقول في أجمل ما كتبه في هذا النص ما يمكن اعتباره وصية من وصايا لينين حول السياسة من المنظور الماركسي :

"لقد كان الناس و سيظلون أبدا في حقل السياسة سذجا يخدعهم الآخرون و يخدعون أنفسهم، ما لم يتعلموا استشفاف مصالح هذه الطبقات أو تلك وراء التعابير و البيانات و الوعود الأخلاقية و الدينية و السياسية و الاجتماعية، فإن أنصار الإصلاحات و التحسينات سيكونون أبدا عرضة لخداع المدافعين عن الأوضاع القديمة طالما لم يدركوا أن قوى هذه الطبقات السائدة أو تلك تدعم كل مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من بربرية و اهتراء. فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس ثمة سوى وسيلة واحدة هي أن نجد في نفس المجتمع

الذي يحيط بنا القوى التي تستطيع – و ينبغي عليها بحكم وضعها الاجتماعي- أن تغدو القوة القادرة على كنس القديم و خلق الجديد، ثم أن نثقف هذه القوى و ننظمها للنضال".

(كل المقتطفات أعلاه مأخوذة من مقالة لينين "**مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة**" التي كتبها لينين بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاة ماركس).

لقد سبق و أن طرحنا مفهومنا للمادية التاريخية من خلال دراسة "**موضوعات حول المادية التاريخية**"، و هنا نقوم فقط بتركيز المفهوم العام.

إن المادية التاريخية تمثل المفهوم الماركسي- اللينيني للتاريخ، الذي قام بتطويره كل من كارل ماركس و فردريك انجلز، و تنبني هذه النظرية العلمية للتاريخ على اعتبار أن الظروف المادية و الاقتصادية، و خاصة العلاقات بين الطبقات الاجتماعية هي المحرك الرئيسي للتاريخ وللتغييرات الاجتماعية، فالتاريخ هو عبارة عن تسلسل و تتالي أنماط الإنتاج يتميز بصراع الطبقات و بتحديد قوى الإنتاج للتطور الاجتماعي.

انطلاقا من هذا المنظور العلمي للتاريخ، و خلافا لكل النظريات المثالية حول التاريخ، فالمادية التاريخية تؤكد على أن ليس الأفكار أو الوعي هو من يقود التاريخ، بل الظروف المادية لوجود البشر، أي الاقتصاد و الإنتاج، و تشكل حسب هذا المنظور مجموع علاقات الإنتاج القاعدة الاقتصادية (البنية التحتية للمجتمع، التي تقوم على أساسها بنية فوقية قانونية و سياسية و إيديولوجية).

و تتميز أنماط الإنتاج بعلاقات قائمة بين الطبقات الاجتماعية، و عن طريق التناقض و تطور هذه العلاقات تتطور العلاقات الاجتماعية، التي تعتبر محركا للتاريخ، إن تاريخ الإنسان يتميز بتطور القوى المنتجة (وسائل و تقنيات الإنتاج) التي تحدد تطور أنماط الإنتاج، و بالتالي المجتمع.

إن المادية التاريخية إلى جانب المادية الجدلية تعتبران السلاحين الأساسيين في يد البروليتاريا و الجماهير الكادحة لتحقيق تحررها، و لذلك لا يجب اعتبار المادية التاريخية مجرد تفسير للماضي بل أداة لتحليل القوى الاجتماعية، التي تتحرك في الحاضر، و فهم و استنتاج التحولات المستقبلية للمجتمع. إنها وسيلة فعالة لاكتشاف الأسباب المادية التي توجد وراء الأحداث التاريخية و فهم كيف تقود الظروف الاقتصادية و الاجتماعية إلى التغييرات الثورية.

ب- مفهوم أنماط الإنتاج و تمفصلها :

إن مفهوم نمط الإنتاج هو مفهوم مركزي في النظرية الماركسية، و هو يصف الطريقة التي ينظم بها مجتمع إنتاج خيراته المادية بربط قوى الإنتاج (أدوات إنتاج، المهارة) و علاقات الإنتاج (العلاقات بين الأشخاص في الإنتاج) .

إذن، فنمط الإنتاج هو المجموع المشكل من طرف القوى المنتجة (الوسائل التقنية، المعارف، اليد العاملة). و علاقات الإنتاج (علاقات الملكية، تقسيم العمل و العلاقة بين الطبقات).

في المادية التاريخية، التي أسست لعلم التاريخ، يعتبر نمط الإنتاج الأساس الاقتصادي لكل مجتمع و يؤطر مجموع حياته الاجتماعية و السياسية و الفكرية.

و قد اكتشف ماركس من خلال دراسته للمجتمع البشري العديد من أنماط الإنتاج، التي تلت المجتمع الشيوعي البدائي، و منها نمط الإنتاج العبودي و نمط الإنتاج الإقطاعي و نمط الإنتاج الرأسمالي و غيرها من الأنماط القديمة.

و يكتسي هذا المفهوم أهمية خاصة في التحليل الماركسي الطبقي للمجتمعات، كما يستفاد منه في تحديد **التحالفات الطبقية**، التي يمكن أن تنشأ كتمظهرات سياسية و اجتماعية تتشكل بين الطبقات المختلفة و داخل بنية طبقية، و إن البنية الطبقية هي نفسها يحددها نمط الإنتاج، و إن التغييرات في أنماط إنتاج يمكن أن تؤثر في البنيات الطبقية، و بالتالي تؤطر ظهور تحالفات طبقية جديدة.

و كخلاصة، يمكن القول أن نمط الإنتاج هو الأساس الاقتصادي الذي تنبني عليه العلاقات الاجتماعية بما فيها من طبقت و فئات و تحالفات اجتماعية. و عموما، فإن تغييرا أساسيا في القوى المنتجة و في علاقات الإنتاج، أي تحقيق تغيير في نمط الإنتاج، فهو محرك التغيير التاريخي، و بالتالي يولد إعادة بنينة للمجتمع و تحالفات جديدة بين الطبقات، و إذا كان نمط الإنتاج يؤسس الشروط البنيوية، فإن التحالفات الطبقية تمثل التعبيرات الظرفية أو البنيوية لعلاقات السلطة التي تتطور.

إذا كانت **التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية** تضم في طياتها العديد من أنماط و أشكال الإنتاج، فأية علاقة تحكمها جميعا؟

إننا هنا نجد أنفسنا أمام ما يسمى في الماركسية **بتمفصل أنماط الإنتاج** داخل تشكيلة اجتماعية محددة. إن هذا المصطلح يحيل على الطريقة التي يتعايش بها و تتفاعل في مجتمع واحد مختلف أنماط الإنتاج، و في ظل هذه العلاقة يكون هناك **نمط إنتاج سائد،** و في عصرنا تكون **السيادة لنمط الإنتاج الرأسمالي،** إذن، **علاقة التمفصل تقوم على السيادة والهيمنة لنمط إنتاج واحد،** و تخضع باقي أنماط و أشكال الإنتاج من موقع **التبعية والهيمنة،** كما **تتبادل أنماط الإنتاج التأثير والتأثر،** و ذلك داخل تشكيلة اقتصادية و اجتماعية محددة.

إن أبعاد هذا التمفصل يمكن تلخيصها، فيما يلي :

- **السيطرة :**

هناك نمط إنتاج سائد و يفرض نفسه كما يفرض تبعية الأنماط الأخرى له، و تنتمي **الطبقتان الرئيسيتان** في المجتمع إلى هذا النمط، مثال البروليتاريا و البورجوازية، بينما تنتمي الطبقات و الفئات الاجتماعية الأخرى إلى أنماط الإنتاج الأخرى.

- **الاستمرارية و التغير :**

تظهر الدراسات الاجتماعية استمرارية أنماط و أشكال إنتاج ما قبل الرأسمالية في جل التشكيلات الاقتصادية و الاجتماعية الرأسمالية التي يسود فيها نمط الإنتاج الرأسمالي. و تنتمي قطاعات **الإنتاج الصغير** في البادية و الأعمال التجارية الصغيرة في المدن، و كل الأعمال من أجل تلبية الحاجيات، مثال القطاعات غير المهيكلة، إلى أنماط وأشكال الإنتاج والتوزيع ما قبل الرأسمالية.

- **النزاع و الصراع :**

لا تجمع أنماط الإنتاج غير السائدة مع النمط الرأسمالي السائد علاقة الانسجام فقط، بل تخضع العلاقة كذلك إلى نزاعات و صراعات نتيجة احتداد و تطور صراع الطبقات. و هناك سيرورة صراع و تحول، حيث تتطور العلاقات بين مختلف أنماط الإنتاج في الزمن.

إننا بدراستنا لتمفصل علاقات الإنتاج نستطيع فهم طبيعة و تعقيد التشكيلة الاقتصادية و الاجتماعية، و كيف تتفاعل مختلف المظاهر الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية.

و عموما، فإن تمفصل أنماط الإنتاج، هو مجال نظرية معقدة، تهدف إلى وصف و تحديد العلاقة الديناميكية بين مختلف أشكال تنظيم الإنتاج داخل مجتمع، خاصة عن طريق التركيز على التأثير و السيطرة التي يمارسها نمط الإنتاج الرأسمالي على أنماط الإنتاج الأخرى.

ج - مفهوم التشكيلة الاقتصادية و الاجتماعية

يحتل مفهوم "التشكيلة الاقتصادية و الاجتماعية" مكانة خاصة ضمن جهاز التحليل للمادية التاريخية، و هي عموما نظام تاريخي خاص، كما هو الحال بالنسبة للرأسمالية، يتميز بنمط إنتاج معين و بنية خاصة بالطبقات الاجتماعية متميزة، و كما رأينا أعلاه، فإن البنية التحتية الاقتصادية (وسائل الإنتاج و علاقات الإنتاج الاجتماعية) يحدد البنية الفوقية (المؤسسات القانونية و السياسية و الإيديولوجية) و مجموع المجتمع، فالبنية التحتية الاقتصادية تتحدد بملكية وسائل الإنتاج و بالعلاقة بين الطبقة السائدة و الطبقة المَسُودة.

في المجتمع الرأسمالي تعني البورجوازية (الملاكين) و البروليتاريا (طبقة العمال). و تتكون التشكيلة الاقتصادية و الاجتماعية من نمط الإنتاج، الذي يضم القوى المنتجة و علاقات الإنتاج و بنية فوقية، و نقصد ببنية فوقية مجموع المؤسسات السياسية (الدولة)، و الأنظمة القانونية، و كذلك الإيديولوجيات و الفلسفات و الدين، هذه العناصر تتأثر بالقاعدة الاقتصادية، فمن البنية التحتية تتولد البنية الفوقية.

و تتميز التشكيلة الاقتصادية و الاجتماعية بوجود طبقات اجتماعية و صراع طبقات، ذلك أن النظام الاقتصادي يقسم المجتمع إلى طبقات اجتماعية، وفي المجتمع الرأسمالي يتعلق الأمر بالبورجوازية و البروليتاريا. هذا بالنسبة للتنظيم الاجتماعي، أما بالنسبة لصراع الطبقات، فهناك تناقضات و استغلال تولد باستمرار اللامساواة و استغلالا للبروليتاريا من طرف البورجوازية، و كما رأينا أعلاه، فإن صراع الطبقات هو محرك التغيير، فالصراع بين الطبقات الاجتماعية الناتج عن اختلاف المصالح الطبقية هو المحرك الرئيسي للتغيير الاجتماعي و للتطور التاريخي.

و حسب ماركس، فالتاريخ عبارة عن توالي أنماط مختلفة للإنتاج، ينتهي بها الأمر إلى الاختفاء و ظهور أنماط أخرى، و ينتهي الصراع الطبقي إلى الاشتراكية و الشيوعية و مجتمع بدون طبقات.

د - في أهمية التحليل الطبقي

في العمل السياسي الثوري هناك مكانة خاصة يحظى بها مفهوم **التحليل الطبقي**، ذلك انه بدون هذا الأخير لا يمكن الحديث عن الاستراتيجية في ميدان العمل السياسي الثوري، و يؤدي ذلك إلى التخبط و انعدام الأسس العلمية و الموضوعية لتحديد تكتيكات العمل السياسي الظرفي، فبدون التحليل الطبقي الاستراتيجي يتم السقوط في التجريبية و الانتقائية و البراغماتية، و من ثمة الانزلاق إلى الانتهازية يسراوية كانت أو يمينية.

إن الأساس الفلسفي المادي الذي يركن إليه التحليل الطبقي هو المادية التاريخية، التي ترى أن التاريخ يحركه صراع الطبقات ما بين من يملكون وسائل الإنتاج (البورجوازية) و من لا يملكونها (طبقة العمال و عموم الكادحين). فعند ماركس فإن المكان في نظام الإنتاج هو الذي يحدد طبقة اجتماعية. و هناك مستويان في تحديد طبقة اجتماعية، مستوى طبقة في ذاتها بالنسبة للبروليتاريا مثلا، يعني مكانا موضوعيا تحتله هذه الطبقة، بينما مفهوم "الطبقة لذاتها" يعني أن الطبقة أصبحت تملك وعيا جماعيا لمصالحها المشتركة، يقودها إلى العمل السياسي و تحرير ذاتها من خلال تغيير المجتمع و القضاء على الطبقات.

و عند تناول تحليل طبقي لتشكيلة اقتصادية و اجتماعية لابد من استحضار الأسس التي يقوم عليها التحليل الطبقي الماركسي، و هي :

- **الاعتماد على المادية التاريخية :**

و هذا يعني ضرورة اعتبار أن المجتمع مهيكل بشروط مادية، و يحكمه تطور أنماط الإنتاج و ليس الأفكار.

- **العلاقة بوسائل الإنتاج :**

و يعني هذا أن تحديد الطبقات يتم عن طريق الأخذ بعين الاعتبار العلاقة التي يقيمها أعضاء الطبقة بملكية وسائل الإنتاج.

- **تحديد التناقض العدائي الأساسي في المجتمع :**

و يعني ذلك استخراج التناقض الذي يحكم باقي التناقضات في المجتمع، و نعني به التناقض الأساسي و هو تناقض عدائي بطبيعته يؤدي حله إلى إنجاز الثورة و تحقيق مهام مرحلة استراتيجية من الثورة و الانتقال إلى أخرى.

- تحديد الطبقتان الرئيسيتان في المجتمع:

انطلاقا من تحليل طبيعة أنماط الإنتاج و تمفصلاتها يتم تحديد الطبقتان الرئيسيتان، و بناء على ذلك تحديد سياسة التحالفات التكتيكية و الاستراتيجية المرتبطة بمهام المرحلة الاستراتيجية الثورية. إن الطبقتان الرئيسيتان في المجتمع الرأسمالي هما البورجوازية و البروليتاريا، و حولهما تتمقطب التحالفات التكتيكية و الاستراتيجية ضمن ميزان القوى القائم خلال مرحلة استراتيجية محددة.

- **تحديد الطبقة السائدة في المجتمع**

و ذلك باعتبارها العدو الرئيسي للثورة و تحليل و تفكيك طبيعة الدولة السياسية التي تمثل مصالحها، ذلك أن المهمة المركزية لكل ثورة كما يقول لينين هي الاستيلاء على السلطة (انظر "الدولة و الثورة" لينين).

ليس الهدف من التحليل الطبقي الماركسي هو الدراسة الأكاديمية للطبقات، بل هو وسيلة و أداة فعالة لمعرفة تشكيلة اقتصادية و اجتماعية **عينية**، و تحديد مستوى الصراع الطبقي داخلها و تحليل تناقضاته و استنتاج القوى الثورية المؤهلة لقيادة الثورة أو المشاركة فيها بحسب كل مرحلة مرحلة، و لذلك يعتبر التحليل الطبقي **بوصلة** استراتيجية للعمل السياسي الثوري، و إغفاله يعني السقوط في التجريبية و الانتقائية و الانتهازية.

تاريخيا، بدأ استعمال مفهوم الطبقة منذ منتصف القرن 18، و قد لعب دورا استراتيجيا في مواجهة **نظام المراتب الثلاث**: طبقة النبلاء، رجال الدين، الطبقة الثالثة، و ذلك ضمن سياق مرحلة الصعود الثوري للبورجوازية السائرة على طريق دك النظام الإقطاعي. و قد رأينا كيف وضح ماركس موقفه من مسألة اكتشاف الطبقات و صراع الطبقات في رسالته الشهيرة إلى جوزيف ويلدماير.

إن التحليل الطبقي الماركسي يعتبر العمل الضروري من أجل تحديد القضايا الاستراتيجية للثورة و هي **مسألة السلطة، مسألة التحالفات السياسية** و **الطبقية، قيادة الثورة، وأسلوب حسم السلطة، والبنيات الاستراتيجية التنظيمية والسياسية والنضالية لضمان انتصار الثورة، ومراحل الثورة وفتراتها الاستراتيجية، وتحليل التناقضات الطبقية وتحديد التناقض الرئيسي والتناقضات الثانوية**، و لا يمكن الحديث عن تكتيك ثوري بدون استراتيجية ثورية، كما لا يمكن الحديث عن الاستراتيجية الثورية بدون تحليل طبقي ثوري. إن علاقة التكتيك و الاستراتيجية هي وحدة متناقضة، تمثل علاقة **العام** بالخاص، فالتكتيك

يهدف إلى تحقيق الاستراتيجية عن طريق التعبئة و التنظيم و أسلوب النضال الجماهيري و الشعارات المناسبة. إن الأهداف الاستراتيجية بشكل عام **ثابتة نسبيا** لا تتغير بسرعة، بينما التكتيك قد **يتغير** في حدود 24 ساعة حسب قولة لينين الشهيرة.

هـ - التحليل السياسي الظرفي:

لا يكتفي الماركسيون بإنتاج تحليل طبقي عام، بل يلجؤون إلى استعمال بعض الأدوات الأخرى، و في مقدمتها **"التحليل السياسي الظرفي"**، و هو تحليل ينتقل بالمناضل الماركسي- اللينيني من **المعرفة العامة** للواقع إلى إدراك **خصوصيات** الحاضر، و يتم تناول هذا الحاضر **بتحديد ظرفية محددة في الزمان والمكان**، يتم من خلالها تأطير واقع الصراع الطبقي السياسي الجاري، و يكون التحليل خاضعا للمنهجية الماركسية العامة، و **مستحضرا التحليل الطبقي العام كبوصلة**، و لذلك يتم تحليل الأوضاع السياسية بارتباط مع الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية **من منظور الصراع الطبقي كمقولة مركزية**، بما يعني أنه لا ينظر إلى الطبقات بمعزل عن الصراع الدائر بينها، كما ينظر إلى تلك الفترة من خلال **إرجاع الحركة الاجتماعية والفاعلين السياسيين من أحزاب وغيرها إلى أساسها المادي الطبقي لمعرفة جوهر مواقفها السياسية وتبيان أين يختبئ جوهر مصالحها المادية**. كل هذا في تحديد دقيق للظرفية، باعتبارها **مسرحا** للأحداث الاجتماعية و السياسية الجارية ضمن **فترة من فترات** الصراع الطبقي.

إن التحليل الظرفي السياسي يقف على أرضية ماركسية قوامها المادية الفلسفية و المادية التاريخية، التي تحدد نظرتنا إلى الواقع باعتباره **واقعا وإمكانا** في نفس الوقت، الشيء الذي يعني أن حركة الواقع تتحرك بفعل التناقضات، و تتطور في اتجاهات مختلفة، أحدها هو **الاتجاه الرئيسي، المحدد بالتناقض الرئيسي**، الشيء الذي يسمح لنا باستشراف آفاق المستقبل، و من ثمة، الاستعداد السياسي التكتيكي و الاستراتيجي للفترات المقبلة. و هنا **أهمية صياغة الشعارات المناسبة**، و لنتذكر جميعا شعار **"كل السلطة للسوفيات"** الذي أطلقه لينين في أبريل 1917 من خلال تحليله الظرفي الشهير الذي يحمل عنوان **"أطروحات نيسان"**، الذي كان نموذجا للتحليل الملموس للواقع الملموس، و قد ساهم في التعبئة لثورة أكتوبر و انتصارها التاريخي، و نتذكر جميعا نموذجا آخرا من التحليل الظرفي، الذي قام به ماو تسي تونغ، و الذي ساهم في تغيير مسار الثورة الصينية، حيث أكد على الدور الثوري للفلاحين في الثورة الصينية، و قد عرف هذا النص تحت عنوان **"تحقيقات حول حركة الفلاحين في هونان"**، و في المغرب هناك نص من نفس النموذج أصدرته المنظمة الماركسية – اللينينية

المغربية "إلى الأمام" تحت عنوان "**الوضع الراهن ومهام الحركة الماركسية–اللينينية**"، الصادر في أبريل 1973 .

لا تقوم قائمة لجدلية الاستراتيجي و التكتيكي بدون إنجاز التحليل الطبقي العام و إغنائه باستمرار عبر التحاليل السياسية الظرفية. إن تحديد المهام السياسية يقوم على تحليل الواقع **من أجل إنتاج نظرية الثورة في بلد ما، وليس الثورة بشكل عام،كما أن تحديد المهام السياسية المباشرة يقوم على احترام مبدأ "التحليل الملموس للواقع الملموس"**.

و- التناقض الرئيسي و التناقضات الثانوية

يتعلم المناضل الماركسي – اللينيني من أبجديات الفكر المادي الجدلي، أن العالم في جوهره مادي، و تكمن وحدته في ماديته، سواء نظرنا إليه من زاوية **ماكروسكوبية** أو من زاوية **ميكروسكوبية**، و كل عناصر المادة تتكون من نفس المواد، و من ثمة أولوية المادة على الفكر، الذي ليس سوى انعكاسا للمادة في حركتها الدائمة، و إن اختلاف عناصر المادة هو اختلاف فقط في أشكال حركة المادة، كما تعلمنا المادية الجدلية أن حركة المادة هي سيرورة يحركها التناقض، الذي يشكل دافعا لتطور المادة، كما أن الانتقال من المادية الجدلية إلى المادية التاريخية و تطبيق الأولى على الوقائع الاجتماعية و التاريخية أنتج علما جديدا هو المادية التاريخية، و هذه الأخيرة تقول **بأولوية الوجود الاجتماعي** (الكائن الاجتماعي) على **الوعي الاجتماعي** الذي ليس إلا انعكاسا له. و قد رأينا أعلاه مجموعة من المفاهيم و الأدوات التحليلية العلمية، التي جاءت بها المادية التاريخية من قبيل التشكيلة الاقتصادية و الاجتماعية، أنماط الإنتاج و تمفصلها و نمط الإنتاج السائد و الأنماط المسودة، الطبقات الاجتماعية و الفئات الاجتماعية و التحالفات الطبقية و السياسية، و الدولة كتعبير سياسي عن الطبقات السائدة و صراع الطبقات كمحرك للتطور الاجتماعي و التاريخي، و علاقة الصراع الطبقي بدكتاتورية البروليتاريا ...

إن التاريخ لا يتطور في **خط مستقيم**، بل ضمن **سيرورة معقدة ومتشابكة** تعكس القوانين الديالكتيكية للتطور من خلال **الصراع بين القديم والجديد**، و من خلال **تطور التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج**، و حيث يلعب الصراع الطبقي **دور المحرك** في عملية التطور التاريخي، و كذلك ضمن جدلية **التطور الكمي والتطور الكيفي** (النوعي)، حيث تخضع حركة التاريخ لخط من التطور الكمي **المتراكم باستمرار**، و **الثابت نسبيا**، و الانتقال إلى خط من **التطور الكيفي المفاجئ والسريع** (زمن الثورات) بمعنى الانتقال من **الاستمرارية** إلى **الانقطاع**، الذي يعني توقف خط سير الكمي و دخول **مرحلة جديدة**.

إن حركة التناقضات، **وبالتناقضات** و **عبرها تتحدد المراحل التاريخية** و **الفترات الظرفية للصراع الطبقي**، و تعلمنا المادية الجدلية كذلك أن التطور هو **سيرورة**، و قوة تطورها هو **من داخلها**، أي ان **المصدر الذاتي** لتطور السيرورة هو **داخلي** (ذاتي)، و أن **كل سيرورة تتضمن مجموعة من التناقضات**، و أحد هذه التناقضات هو **تناقض رئيسي**، و هو الذي **يحدد مسار المرحلة أو المراحل** ضمن سيرورة معقدة تحمل **سلسلة** من التناقضات.

يقول ماو تسي تونغ :

"توجد في كل عملية تطور معقدة لشيء ما تناقضات عديدة، و لابد أن يكون أحدها هو التناقض الرئيسي، الذي يقرر وجوده و تطوره وجود و تطور التناقضات الأخرى أو يؤثر في وجودها و تطورها".

إذا كانت كل سيرورة تتضمن سلسلة من التناقضات، **أحده ارئيسي** و **الأخرى ثانوية** تساهم **جميعا** في تحديد و بلورة مراحل و فترات تطور السيرورة، فإن كل تناقض يتضمن **طرفان** أحدهما **رئيسي** و الآخر **ثانوي**، و **يتحدد طابع التناقض بالطرف الرئيسي من التناقض**، مثال، نقول هذا المجتمع رأسمالي لأن طرفي التناقض القائم بين البروليتاريا و البورجوازية يسود فيهما الطرف البورجوازي. و هذا ما يطلق عليه **بالطرف الرئيسي للتناقض** و **الطرف الثانوي للتناقض** و العلاقة بينهما تخضع **لتطور غير متساوي** .

في كل مجتمع، في مرحلة محددة من تطوره، هناك تناقض رئيسي و تناقضات ثانوية **يتبادلان التأثير والتأثر**، فإذا كان التناقض الرئيسي هو **المحدد** فلا يعني هذا أن الوضع لا يتغير، فإن التناقضات **تتحول**، و **تتبادل التأثير** جدليا فيما بينها، الشيء الذي يجعل بالإمكان **تحول** تناقض ثانوي إلى تناقض رئيسي في لحظة محددة من التطور.

في المجتمع الرأسمالي تشكل القوتان المتناقضان، البروليتاريا و البورجوازية التناقض الرئيسي، أما التناقضات الأخرى مثال التناقض بين الطبقة الإقطاعية المتبقية و البورجوازية و التناقض بين بورجوازية الفلاحين الصغيرة و البورجوازية و التناقض بين البروليتاريا و بورجوازية الفلاحين الصغيرة، و التناقض بين البورجوازية غير الاحتكارية و البورجوازية الاحتكارية، و التناقض بين الديموقراطية البورجوازية و الفاشية البورجوازية، و التناقض بين البلدان الرأسمالية نفسها هي تناقضات ثانوية يحددها جميعا التناقض الرئيسي.

أما في **البلدان التابعة** فالعلاقة بين التناقض الرئيسي و التناقضات الثانوية تعرف **حالة معقدة**، فعندما تشن الامبريالية حربا عدوانية على بلد من هذا النوع، فإن الطبقات المختلفة في هذا

البلد، باستثناء حفنة من الخونة و الكمبرادور يمكن أن تتحد مؤقتا كي تخوض غمار حرب وطنية ضد الامبريالية، و هنا يصبح التناقض بين الامبريالية و ذلك البلد هو التناقض الرئيسي، بينما تصبح مؤقتا جميع التناقضات الأخرى داخل ذلك البلد في مركز ثانوي و تابع، و تقدم التجربة الصينية و الفيتنامية نماذج كثيرة على ذلك.

و بطبيعة الحال، فإن العلاقة بين التناقضات يحكمها الديالكتيك فهي تتغير و تتبدل، فعندما، كما يقول ماو تسي تونغ، تمارس الامبريالية أشكال من الاضطهاد معتدلة نسبيا، سياسية و اقتصادية و ثقافية ... بدلا من الاضطهاد عن طريق الحرب، فإن الطبقات الحاكمة في البلدان شبه المستعمرة ستستسلم للإمبريالية و يتحالف الاثنان و يتعاونان على اضطهاد جماهير الشعب الغفيرة، و في مثل هذه الحالة كثيرا ما تلجأ جماهير الشعب الغفيرة إلى شكل **الحرب الأهلية** للوقوف في وجه تحالف الامبريالية و الطبقة الإقطاعية (أو الكومبرادور) بينما تتخذ الامبريالية على الأغلب طرقا غير مباشرة لمساعدة الرجعيين في البلدان شبه المستعمرة على اضطهاد الشعب دون أن تقوم **بعمل، مباشر**، و عندئذ تبرز حدة التناقضات الداخلية بصورة خاصة، و هكذا كانت الحال في الصين في الحرب الثورية سنة 1911، و في الحرب الثورية 1924 – 1927، و في أعوام حرب الثورة الزراعية العشرة سنة 1927" .

"وحين تبلغ الحرب الثورية الأهلية، في تطورها حدا تهدد معه في الأساس بقاء الامبريالية و أذنابها الرجعيين المحليين، فإن الامبريالية كثيرا ما تتخذ طرقا غير الطرق المذكورة أعلاه محاولة الحفاظ على حكمها، فهي إما تحاول أن تشق الجبهة الثورية من الداخل أو ترسل القوات المسلحة مباشرة لتساعد الرجعيين المحليين، و في هذه الحال تقف الامبريالية الأجنبية و الرجعيون المحليين بصورة علنية مفضوحة في قطب، بينما تقف جماهير الشعب الغفيرة في القطب الآخر، فيتألف من ذلك تناقض رئيسي يقرر تطور التناقضات الأخرى أو يؤثر فيه".

إن استيعاب منهجية تحليل التناقضات الطبقية و فهمها يساعد المناضل الماركسي- اللينيني على توجيه سيرورة النضال الثوري من خلال إيجاد البوصلة في كل فترة و مرحلة استراتيجية، و لا يمكن القيام بذلك إلا بالقيام بتحليل طبقي عام للمجتمع، و تحيين ذلك التحليل باستمرار عبر تحاليل سياسية ظرفية بمنهجية ماركسية – لينينية، و لنا في النصوص الماركسية – اللينينية نماذج عن المنهجين و يتمثلان في نصي لينين: "تطور الرأسمالية في روسيا" بالنسبة **للتحليل العام**، و **"أطروحات نيسان"** بالنسبة للتحليل السياسي الظرفي، ونصي ماو تسي تونغ

"**تحليل الطبقات في المجتمع الصيني**" بالنسبة للتحليل العام و "**تحقيقات حول حركة الفلاحين في هونان**" بالنسبة للتحليل السياسي الظرفي.

و يمكن إضافة نصين مشهورين لكارل ماركس و هما "**البيان الشيوعي**" و "**صراع الطبقات في فرنسا**"، و هما تطبيقان عبقريان للمادية التاريخية على مرحلة تاريخية عامة بالنسبة للبشرية، و على مرحلة ظرفية من تاريخ فرنسا.

II-المفهومان اللبيرالي و الماركسي لصراع الطبقات

يقول لينين في مقالته تحت نفس العنوان :

"إن مسألة الصراع الطبقي واحدة من المسائل الأساسية في الماركسية، و من ثمة حري بنا تناول مفهوم الصراع الطبقي بتفصيل أكبر.

كل صراع طبقي هو صراع سياسي (انظر "بيان الحزب الشيوعي" كارل ماركس و فردريك انجلز). نحن نعرف أن الانتهازيين، عبيد الأفكار الليبرالية قد فهموا كلمات ماركس العميقة هذه بشكل خاطئ و حاولوا أن يضعوا لها تفسيرا مشوها. و كان من ضمن الانتهازيين، على سبيل المثال، الاقتصاديون الإخوة الأكبر للتصفويين. اعتقد الاقتصاديون أن كل نزاع بين طبقتين كان نضالا سياسيا، و قد اعتبروا الصراع من أجل زيادة الأجر خمس كوبيكات على الروبل "صراعا طبقيا"، و رفضوا أن يعترفوا بصراع طبقي أعلى و أكثر تطورا على المستوى القومي، أي الصراع من أجل أهداف سياسية. اعترف الاقتصاديون، من ثمة، بالصراع الطبقي الجنيني، و لكن لم يعترفوا به بشكله الأكثر تطورا. لقد اعترف الاقتصاديون، بمعنى آخر فقط بذلك القسم من الصراع الطبقي الذي كان مقبولا أكثر لدى البورجوازية الليبرالية، و رفضوا أن يمضوا أبعد من الليبراليين، كما رفضوا الاعتراف بالشكل الأعلى للصراع الطبقي غير المقبول لدى الليبراليين، باتباع هذا النهج، أصبح الاقتصاديون سياسيي عمال اللبراليين. و بعمل ذلك، رفض الاقتصاديون المفهوم الماركسي الثوري للصراع الطبقي.

و لنواصل. لا يكفي أن يصبح الصراع الطبقي واقعيا و متواصلا و متطورا فقط حينما يحتضن المجال السياسي، ففي السياسة أيضا، من الممكن أن نقصر أنفسنا على الأمور الصغرى، و من الممكن أن نذهب أعمق إلى الأسس.

تعترف الماركسية بالصراع الطبقي بوصفه متطورا على "النطاق القومي" فقط، إن لم يحتضن السياسة فحسب، و إنما أن يشتمل على أكثر الأشياء أهمية في السياسة، و هو تنظيم سلطة الدولة.

من ناحية أخرى، فإن الليبراليين، بعد أن نمت حركة الطبقة العاملة لتصبح أقوى قليلا، لم يجرؤوا على إنكار الصراع الطبقي، و إنما حاولوا أن يضيقوا و يقلصوا و يخصوا مفهوم الصراع الطبقي. و الليبراليون على استعداد للاعتراف بالصراع الطبقي في المجال السياسي أيضا، و لكن بشرط واحد و هو ألا يدخل تنظيم سلطة الدولة في ذلك المجال. ليس من الصعب أن نفهم أي المصالح الطبقية للبورجوازية هي التي تؤدي للتشويه الليبرالي لمفهوم الصراع الطبقي" .

إن النص اللينيني أعلاه واضح بما يكفي، حتى أننا لا نجد ما نضيفه ما عدا هذه الفكرة حول حقيقة الموقف البورجوازي من الصراع الطبقي في روسيا، ذلك أن البورجوازية كانت **ملكية**، و تريد **الإصلاح** من منظورها، و لضمان مصالحها لابد من الحفاظ على الدولة كما هي، من أجهزة قمعية (الجيش و الشرطة) و الإدارة و غيرها، و لذلك **رفضت** هذه البورجوازية التحالف مع الفلاحين في إطار الثورة الديموقراطية البورجوازية الروسية.

علي محمود